مؤتمر للخدَّام والخادمات من إيبارشيَّة سمالوط
باستراحة دير أنبا بولا بالبحر الأحمر
٤-٦ يوليو سنة ٢٠١٧م

تألُّه الإنسان عند القدِّيس كيرلُّس الكبير

قراءات كتابيَّة

يقول المزمور (٨١سبعينيَّة/ ٨٢بيروتيَّة) وهو لآساف[١]:

«١قامَ اللهُ في مجمعِ الآلهة. وفي الوسط يدينُ الآلهة. ٢إلى متى تقضونَ بالظُلم، وبوجه الخطأة تأخُذون. ٣احكموا لليتيمِ والفقيرِ. زَكُّوا الذَّليلَ والبائسَ. ٤أَنقِذوا مسكيناً وضعيفاً، وخلِّصوهما من يدِ الخاطئ. لم يعلموا و لم يفهموا، أنهم في الظُّلمةِ يسلُكون. تتزعزعُ جميعُ أساساتِ الأرض. ٥أنا قلتُ إنكم آلهةٌ وبنو العليِّ كلُّكم. لكنَّكم مثلَ البشرِ تموتون. وكأحدِ الرؤساءِ تسقطون. ٦قمْ يا اللهُ دِنْ الأرضَ. لأنكَ أنتَ ترثُ في جميعِ الأممِ».

ويقول الإنجيل المقدَّس بحسب مار يوحنَّا البشير (١٠:٣٤، ٣٥):

«أجابهم يسوع: أعمالاً كثيرة حَسَنة أريتكم من عند أبي. بسبب أيِّ عمل منها تَرْجمونني؟ أجابه اليهود قائلين: لسنا نَرجمك لأجل عمل حَسَن، بل لأجل تجديف، فإنك وأنت إنسانٌ، تجعلُ نفسك إلهاً. أجابهم يسوع: أليس مكتوباً في ناموسكم، أنا قلتُ إنكم آلهة؟ إنْ قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمةُ الله، **ولا يمكن أن يُنقض المكتوب**، فالذي قدَّسه الآب وأرسله إلى العالم، أتقولون له إنك تجدِّف لأني قلتُ إني ابنُ الله؟».

ويقول المسيح له المجد: «السَّماء والأرض تزولان، ولكن كلامي لا يزول» (متى ٢٤:٣٥).

مصطلح تألُّه الإنسان في التَّاريخ الآبائي

مصطلح (التألُّه) Θεωσίς أي "تألُّه الإنسان"، هو مصطلح كتابي، تكلَّم عنه السيِّد الرَّب نفسه، وهو أيضاً مصطلح آبائي، انتشر في الكنيسة شرقاً وغرباً في غضون القرون من الرَّابع إلى السَّادس للميلاد. فقد عرفته كنيسة الإسكندريَّة، حيث بدأ البابا أثناسيوس الرَّسولي (٣٢٨-٣٧٣م) باستخدامه، كما في مقولته الشَّهيرة: [هو تأنَّس لكي نتألَّه نحن][٢]. وأيضاً في قوله: [لو لم تكن أعمال اللُّوغوس الإلهيَّة قد تمَّت بواسطة الجسد، لما كان الإنسان قد تألَّه][٣]. ثمَّ استخدمه من بعده، العلاَّمة ديديموس الضَّرير (٣١٣-٣٩٨م)، مدير مدرسة الإسكندريَّة اللاَّهوتيَّة. كما استخدمه أيضاً البابا كيرلُّس الكبير (٤١٢-٤٤٤م). كما استخدمه آباء الرَّهبنة في مصر؛ القدِّيس أنبا أنطونيوس (٢٥١-٣٥٦م) أب جميع الرُّهبان، والقدِّيس مقاريوس الكبير (٣٠٠-٣٩٧م)، والقدِّيس إيسيذوروس (٣٦٠-٤٥٠م).

كما عُرف هذا المصطلح أيضاً عند الآباء الكبادوك، وهُم القدِّيس باسيليوس الكبير (٣٣٠-٣٧٩م)، والقدِّيس غريغوريوس النَّزينزي (٣٢٩-٣٨٩م) أي اللاَّهوتي، والقدِّيس غريغوريوس النِّيسي (٣٣٥-٣٩٥م).

وكان معروفاً أيضاً في الكنيسة السِّريانيَّة، وفي مدرسة أنطاكية، وهو ما نجده عند القدِّيس يوحنَّا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م)، ومار أفرآم السِّرياني (٣٠٦-٣٧٣م)، والشَّيخ الرُّوحاني (القرن السَّادس الميلادي)، ومار اسحق السِّرياني (+٧٠٠م).

١- لآساف ١٢ مزموراً (٤٩، ٧٢- ٨٢).
٢- أثناسيوس الرَّسولي، تجسُّد الكلمة، ٥٤:٣، ٤
٣- أثناسيوس الرَّسولي، ضدَّ الأريوسيِّين، ٣:٣٣

كما عرفته أيضاً الكنيسة الغربيَّة، حيث تكلَّم عنه كلٌّ من القدِّيس هيلاري (٣١٥-٣٦٧م) أُسقُف بواتييه، والقدِّيس أغسطينوس (٣٥٤-٤٣٠م).

وأمَّا عن القدِّيس كيرلُّس الكبير (٤١٢-٤٤٤م)، محور حديثنا الآن، فيعقِّب على قول الرَّب: «أنا قلتُ إنكم آلهة وبنو العلِّي كلُّكم» فيقول: [نحن نرتقي بالمسيح إلى كرامة تفوق طبيعتنا فنصير أبناء لله، ولكن ليس مثلُه بلا فارق، بل على قدر مشابهتنا له بحسب النِّعمة، لأنه هو ابنٌ حقيقي للآب، وأمَّا نحن فأبناءٌ بالتَّبني. وبمحبَّته للبشر، ننال بالنِّعمة نصيباً من هذا القَول: «أنا قُلت إنكم آلهة وبنو العلي كلُّكم»][٤].

ويقول أيضاً: [لقد حلَّ الكلمة في الجميع بواسطة (حلوله في) الواحد، حتى إذا ما تعيَّن هذا الواحد ابناً لله بقوَّة من جهة روح القداسة (رومية ١:٤)، تمتد هذه الكرامة إلى البشريَّة كلِّها. وبسبب الواحد منَّا، يُدركنا القَول: «أنا قلتُ إنكم آلهة وبنو العلي كلُّكم» (مزمور ٨١:٦ سبعينيَّة)][٥].

ويُكمِّل بقوله: [كلام الله هو طبعًا صادقٌ ولا يمكن أبدًا أن يكون كاذبًا ؛ لأنه وإن كنَّا لا نفهم بأيَّة طريقة يعمل الله مثل هذه الأعمال، لكن هو نفسه يعرف طريقة (عمل) أعماله. لأنه عندما لم يفهم نيقوديموس كلمات الرَّب المختصَّة بالمعموديَّة المقدَّسة، وقال بجهل: « كيف يمكن أن يكون هذا؟» (يو٣:٩)، فإنه سمع المسيح يُجيب قائلاً: « الحق أقول لك إننا إنما نتكلَّم بما نعلم، ونشهد بما رأينا»] (عظة ١٤٢ على إنجيل لوقا ٢٢).

مفهوم التألُّه عند آباء الكنيسة

مصطلح ''التألُّه'' Θεωσίς إذا أُخذناه بمعناه الحرفي، فهو يتعارض مع الإيمان بوحدانيَّة الله، ويهدم أصول التَّقوى والعبادة من الأساس، لأنه يقود إلى تضخيم الذَّات البشريَّة ليعبدها النَّاس. ومن المحال أن يكون أحد آباء الكنيسة قد نادى بهذا النَّوع من التألُّه، أي بهذا المعنى الحرفي المباشر للكلمة. بل ومستحيل أن يقبل أحد أياً كانت ديانته، بهذا المعنى. فالتألُّه بالمعنى الحرفي، هو الخطيئة التي وقع فيها الشيطان وأراد أن يوقع فيها آدم. ويقول مار أفرآم السِّرياني: [العلي عرفَ أنَّ آدم كان يريد أن يصير إلهاً، لذلك أرسل ابنه الذي لبس (جسد) آدم، حتى يمنحه ما اشتهاه][٦].

إنَّ تألُّه الإنسان، لا يُخرج الإنسان عن إنسانيَّته، أو يغيِّر شيئاً من طبيعته الإنسانيَّة. وفي ذلك يقول القدِّيس كيرلُّس الكبير: [الابن لا يحول شيئاً قط من المخلوقات إلى طبيعة لاهوته، لأنَّ هذا مستحيل][٧]. ويقول أيضاً: [نحن نرتقي إذاً بالمسيح إلى كرامة تفوق طبيعتنا، ولكن لن نكون مثله بدون فرق، بل على قدر مشابهتنا له بحسب النِّعمة. لأنه هو ابن حقيقي للآب، وأمَّا نحن فأبناء بالتَّبني][٨].

فاتحاد ابن الله بالطَّبيعة البشريَّة، يختلف اختلافاً جوهرياً عن اتحادنا بالمسيح. فابن الله برغم اتحاده بالطَّبيعة الأقل لم يفقد شيئاً ممَّا كان له قط، ولا صار ذا طبيعتَين، بل طبيعة واحدة للإله الكلمة المتجسِّد، إله كامل وإنسان كامل بآن واحد. أمَّا نحن فاتحادُنا بالمسيح بالإيمان في المعموديَّة والأسرار، لا يعطينا أيَّ امتياز قائم بذاته بدون المسيح، فسنظل بشراً إلى الأبد. فكلُّ الامتيازات التي ننالها كأبناء الله، ننالها في المسيح بالإيمان والأسرار وبدوام الشَّركة في المسيح. فإن توقَّفت الشَّركة كعلاقة إرادة ونعمة في الصَّميم، توقَّفت كلُّ الامتيازات التي للخلاص، وتوقَّفت نعمة التَّبني. فاتحادُنا بالمسيح لا يصيِّرنا آلهة، ولا يصيِّرنا كالمسيح في جوهر طبيعته الفائقة، ولكن يُدخلنا في سرّ بنوَّته للآب كبشر خطاة، برَّرهم بدمه ووحَّدهم في ذاته

4- *PG* 73, 153 ; Pusey I, 1333.
5- *PG* 73, 161 ; Pusey I, 141.
6- *Nisibene Hymn* 69:12
7- *Against Nestorius*, III, 2 ; ACO 1, 1, 6. 60
8- *PG* 73, 153 ; Pusey I, 1333.

بنعمته، وتبناهم لله[٩].

وخُلاصة القَول، هو أنَّ تألُّه الإنسان الذي يقصده الآباء، لا يمكن أن يتم خارجاً عن المسيح. فهو يتم أساساً في المسيح، وبالمسيح، بالإيمان وبالأسرار، ولا يمكن أن يقوم الإنسان به من ذاته، فيصير الإنسان في حدِّ ذاته نظيراً لله أو نداً له. فخارجاً عن المسيح، يستحيل أن يتم أي اتحاد أو حتى اقتراب إلى الله. وفي ذلك يقول القدِّيس كيرلُّس الكبير في تفسيره لقول الرَّب في (يوحنَّا ١٩:١٧): [قال (الرَّب) بإحكام «أنا هو الطَّريق» الذي من خلاله تنحدر نحونا النِّعمة الإلهيَّة، لترفع وتقدِّس وتمجِّد وتؤلِّه طبيعتنا في المسيح][١٠].

إننا اليَوم حين نتكلَّم عن هذا الموضوع الذي صار غريباً على مسامعنا بسبب فقرنا الإيماني والآبائي، فليس أمامنا سوى أن نبحث فيما قاله آباء الكنيسة عنه، لكي نُثبت صحَّته ليس إلاَّ. فصار موضوع تألُّه الإنسان، أي اتحاد الإنسان بالله في المسيح بالرُّوح القُدُس، مجرَّد نظريَّة إيمانيَّة أو عقيدة جدليَّة، وليس حقيقة حياتيَّة تُعاش، وتغيُّر حقيقي يشمل كيانَ الإنسان كلِّه، وشركة حقيقيَّة مع الرَّب ومع الرُّوح القُدُس.

تألُّه الإنسان هو استعادةٌ صادقة للمجد الذي فقدناه بالخطيئة «أعطيتهم المجد الذي أعطيتني» (يوحنَّا ٢٢:١٧). وإنَّ الاتحاد الذي تمَّ في المسيح بين اللاَّهوت والنَّاسوت، صار هو أساس ووسيلة بلوغنا لهذا المجد بسبب اتحادنا بالله في المسيح.

معنى ''تأله الإنسان'' هو في قول بولس الرَّسول: «فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ» (غلاطية ٢٠:٢). ولم يصل القدِّيس بولس إلى ذلك إلاَّ بعد أنْ قال: «ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي» (١كورنثوس ١٠:١٥). التألُّه هو نفسه معنى الخليقة الجديدة التي صارت لنا بتجسُّد يسوع المسيح. وهو معنى الولادة من الله. وهو معنى التَّبني في المسيح يسوع. وهو معنى الاتحاد بالله الذي أوضحه القدِّيس بطرس الرَّسول بقوله «لتصيروا شركاء الطَّبيعة الإلهية»، هذا هو معنى استرداد الإنسان لصورة الله ومثاله، التي كانت فيه سابقاً والتي فقدها بالسُّقوط. فمعنى أنَّ الإنسان صار شريكاً في الطَّبيعة الإلهيَّة، هو بالتَّحديد القاطع، وبحسب قول الآباء، استعادة صورة الله ومثاله، وحصول الإنسان على مشيئة الله في أعماقه. وهو ما أكمله الكلمة في نفسه بالتجسُّد ليضمن خلاصنا.

تألُّه الإنسان شهادة لألوهيَّة المسيح وألوهيَّة الرُّوح القُدُس

• إننا إذا رفضنا تألُّه الإنسان كعقيدة في الكنيسة، بحسب تعليم آبائها، نرفض ألوهيَّة المسيح نفسه له المجد. وفي ذلك يقول القدِّيس كيرلُّس الكبير (٤١٢-٤٤٤م): [لو كان كلمة الله مخلوقاً حسب رأيكم أيها المخترعون كلَّ كُفر، فكيف حينما نتَّحد به نكون ملتصقين بالله ونتألَّه؟][١١].

والقدِّيس كيرلُّس الكبير يقتفي آثار تعليم البابا أثناسيوس الرَّسولي (٣٢٨-٣٧٣م)، معيار الإيمان الأرثوذكسي، والذي يقول: [لقد أخذ لنفسه جسداً بشرياً مخلوقاً، لكي يُجدِّده بصفته هو خالقه، فيؤلِّهه في نفسه ... فما كان الإنسان يتألَّه لو كان اتحد بمخلوق، أي لو لم يكن الابن إلهاً حقًّا. وما كان الإنسان يدخل إلى حضرة الآب، لو لم يكن الذي لَبسَ الجسد، هو كلمة الآب الحقيقي بالطَّبيعة ... ما كان الإنسان يتألَّه لو لم يكن الكلمة الصَّائر جسداً، هو كلمة الآب الخَصوصي الحقيقي بحسب الطَّبيعة. لأجل ذلك قد صار مثل هذا الاتحاد، لكي يوحِّد بالذي له طبيعة اللاَّهوت، ذاك الذي بطبيعته مجرَّد إنسان، فيصير خلاصُه وتأليهُه مضمونَين][١٢].

• وإذا رفضنا تألُّه الإنسان كعقيدة في الكنيسة، نرفض أيضاً ألوهيَّة الرُّوح القُدُس. فيقول القدِّيس كيرلُّس الكبير: [إن

٩- الأب متى المسكين، كتاب أعياد الظُّهور الإلهي، مقال: ولد لكم اليَوم.

10- *PG* 75, 333C

11- *PG* 75, 284B

١٢- ضدَّ الأريوسيِّين ٢: ٧٠

كانت القدرة الذَّاتيَّة على تأليه الآخرين تفوق تماماً طبيعة المخلوقات، فمن سيحسب الرُّوح القُدُس ضمن المخلوقات ... وكيف يُدعى مخلوقاً الذي يجعل الآخرين آلهة؟][١٣].

ويقول أيضاً: [إن كان الرُّوح القُدُس يؤلِّه الذين يكون فيهم، ويجعلهم **شركاء الطَّبيعة الإلهيَّة**، فهو إذاً إله. وهو بحسب الطَّبيعة، من الجوهر الإلهي، وبواسطة الابن يُمنح للخليقة، ويعيد تشكيلها كشبهه. فكما أنَّ العمل الخاص بالنُّور هو أن يُنير، ولا يستطيع شيءٌ البتَّة أن يُنير ما لم يكن نوراً، هكذا عمل الرُّوح الإلهي. ولو لم يكن هو نفسه من الجوهر الإلهي، لما كان يجعل الذين يقتنونه **شركاء الطَّبيعة الإلهية**][١٤].

ويقول أيضاً: [إنْ كان الرُّوح القُدُس يجعل الذين يحل فيهم، أبناءً لله، ويجعلهم أيضاً **شركاء الطَّبيعة الإلهيَّة**، حتى أننا بسبب ذلك نكون متَّحدين بالله الذي يفوق الكُل، فنصرخ بدالة «يا أبا الآب» فلا يكون إذاً الرُّوح القُدُس في رُتبة العبيد أو المخلوقات، بل بالحري يكون حاملاً في ذاته طبيعياً امتياز الجوهر الإلهي، لأنه من هذا الجوهر، وبه هو كائن، وهو يعطَى بواسطة الابن للقدِّيسين، وبذلك يؤلِّه ويدعو إلى التَّبني أولئك الذي يحلُّ فيهم][١٥].

نموذج التألُّه نراه في القدِّيسين

يقول القدِّيس كيرلُّس الكبير: [نحن المؤمنين جميعاً، شركاءُ الطَّبيعة الإلهيَّة، بانتسابنا للابن بواسطة الرُّوح القُدُس، ليس بمجرَّد التخيُّل، ولكن بالحقيقة][١٦].

ويحدِّد القدِّيس كيرلُّس الكبير معنى ''شركة الطَّبيعة الإلهيَّة''، وذلك في دفاعه ضدَّ نسطور[١٧]، فيقول: [يجعلنا شركاء طبيعته الإلهيَّة بالرُّوح القُدُس ... لأنَّ المسيح يتصوَّر فينا هكذا، بأنْ يحوِّلنا الرُّوح القُدُس على نحو ما، من الأمور البشريَّة إلى تلك التي له. ولذلك يقول لنا القدِّيس بولس الطُّوباوي: «وأمَّا أنتم فلستم في الجسد بل في الرُّوح» (رومية ٨:٩). إذاً فالابن من جهة، لا يحول شيئاً قط من المخلوقات إلى طبيعة لاهوته، لأنَّ هذا مستحيل، ولكن من جهة أُخرى ترتسم بنوع ما في الذين صاروا شركاء طبيعته الإلهيَّة باشتراكهم في الرُّوح القُدُس، مشابهته الرُّوحيَّة. وبهاءُ لاهوته الذي لا يُنطق به، يُبرق في نفوس القدِّيسين].

وهنا يوضِّح القدِّيس كيرلُّس الكبير، أنَّ التألُّه الذي نحصل عليه في الأسرار، وبالرُّوح القُدُس، يمكن أن نرى نموذجاً له في حياة القدِّيسين. فالشَّركة في تجلِّي المسيح في الجسد، قد شُهد لها أوَّلاً في حادثة صعود جسد العذراء مريم، محمولاً علي أيدي قوات ملائكيَّة تمهيداً لقيامة ستتم هناك''[١٨]. ولدينا نماذج من آباء برية مصر الأوَّلين الذين ظهر في أجسادهم مجدُ جسد المسيح المتجلِّي:

+ القدِّيس أنبا مقار شَهد له سبعة آباء عظام، أنهم رأوه مضيئاً داخل قلاَّيته في الظَّلام.
+ الأب شيشوي ساعة نياحته، وكلُ الآباء جالسون حوله، رأوا وجهه يُشع منه نور كالشَّمس، وظلَّ هذا النُّور يتزايد حتى لحظة خروج الرُّوح.
+ الأب بامو، قيل عنه إنَّ الله مجدَّه إلي درجة أنه كان يصعُب أن يتَطلَّع أحدٌ إلي وجهه بسبب المجد الذي كان يُشع منه.
+ أرسانيوس القدِّيس؛ دخل عليه تلاميذه فجأة وهو يُصلِّي، فوجدوه كلّه كالنَّار.
+ القدِّيس يوسف الكبير، رآه إخوته وهو يُصلِّي رافعاً يديه، وإذا بأصابعه كعشر شُعلات من نار[١٩].

13- *SC* 246, 180
14- *PG* 75, 592D
15- *PG* 75, 569C
16- *PG* 75, 905A.
17- *Against Nestorius*, III, 2 ; ACO 1, 1, 6. 60

١٨- الأب متى المسكين، صوم العذراء القدِّيسة مريم، وعيد صعود جسدها للسَّماء، ص ١٤
١٩- نفس المرجع، ص١٥

فكلٌّ واحد من هذه الأمثلة، إنما يمثِّل ''امتداداً حقيقياً لتجلي المسيح''، ويُبرهن علي أنَّ ''الرب المتجلِّي، حاضر في قدِّيسيه، يشع في أجسامهم بقوَّة تقديس تُهيئها للقيامة المُزْمِعة أن تكون''[٢٠]. إنَّ نعمة التألُّه نأخذها ليس فقط بالنَّفس، ولكن بالجسد أيضاً، لأنَّ الجسد هو هيكل الرُّوح القُدُس[٢١].

غاية أسرار الكنيسة هي تألُّه الإنسان

أليس من العجيب أنْ نتجادل في موضوع تألُّه الإنسان، بينما نمارسه فعلياً في الكنيسة، ومن داخل أسرارها المقدَّسة؟ فصرنا نمارس أسراراً كنسيَّة لا نُدرك الغاية النِّهائيَّة منها، لأننا أخضعنا لعقلنا الضَّعيف، عطايا المسيح، التي لا يُعبر عنها بكلمات. وغناه الذي لا يُستقصى، عَجَزَ العقل عن استيعابه. ولم نكتف بأن نصمُت لعدم فهمنا، بل تشكَّكنا في العطيَّة. وصدق قول القدِّيس باسيليوس الكبير (٣٣٠-٣٧٩م): [بسبب فرط عطاياه، صرنا لا نصدِّق إحسانه][٢٢].

• إنْ قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله، ألا يكون آلهة، أولئك الذين ولدوا من الله؟ وصاروا أبناء له. «الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رَجُل، بل من الله» (يوحنَّا ١٣:١). ويقول القدِّيس كيرلُّس الكبير: [إذ قد نلنا التَّبني بعلاقتنا مع الله، فإننا بواسطته قد تألَّهنا أيضاً][٢٣]. ويقول أيضاً: [نُدعى أولاداً لله بنوع من المشابهة مع ذاك الذي هو ابن بالحقيقة وبحسب الطَّبيعة][٢٤].

ففي المعموديَّة، نختبر ميلاداً روحياً جديداً، فيه نأخذ من المسيح ابن الله، من الصِّفات والإمكانيَّات والقُدرات والمواهب الرُّوحيَّة غير المنظورة وغير البشريَّة (في طبيعتها)[٢٥]. نقول في التَّسبحة: ''هو أخذ الذي لنا، وأعطانا الذي له، فلنُسبِّحه ونمجده ونُزيده عُلواً''.

• إنْ قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله، ألا يكون آلهة، أولئك الذين يسكن المسيح فيهم في سرّ الإفخارستيَّا؟ يقول القدِّيس كيرلُّس الكبير: [نُدعى آلهة ليس فقط لأننا بالنِّعمة ننطلق نحو المجد الذي يفوقنا، ولكن لأننا منذ الآن نقتني الله ساكناً ومقيماً فينا، بحسب القَول النَّبوي «سأسكن فيهم وأسير بينهم (٢كورنثوس ١٦:٦)» وإلاَّ فكيف يكون المُخلِّص صادقاً في قوله: «إنْ أحبني أحد يحفظ كلامي، ويحبُّه أبي، وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً؟» (يوحنَّا ٢٣:١٤)][٢٦]. ويقول أيضاً: [تجدَّد شكلُنا بحسب الله، وأعيدت صياغة كياننا بحسب البهاء الذي يفوق الخليقة. فالمسيح تصوَّر فينا بطريقة تفوق الوصف][٢٧].

وأودُّ الإشارة هنا إلى كتاب مهم للبابا متَّاؤس الرَّابع المعروف باسم متى الميري (١٦٦٠-١٦٧٥م)، وهو بعنوان: ''الرَّد على الكلفانيِّين''، وكتبه سنة ١٦٧٢م، رداً على البروتستنت في أوروبا، الذين كانوا يقولون: ''إنَّ المسيح لا يكون حاضراً بالحقيقة علي المذبح بعد تقديس الأعْرَاض (الخبز والخمر)، وإنَّ تقدمة الإفخارستيَّا المقدَّسة، ليست هي جسد يسوع المسيح الحقيقي تحت عَرَض الخُبز''. والسَّبب في ذلك الاعتقاد، يرجع إلي قناعتهم بأنَّ جسد المسيح لا يمكن أن يتواجد في مَوْضِعين مختلفين في آنٍ واحد. ويقولون: ''إنَّ تَقْدِمة الإفخارستيا التي نسمِّيها جسد المسيح''، ليست هي نفس الجسد الكائن في السَّموات، فالمسيح في جَوْهَره يوجد فقط في السَّماء وليس علي الأرض. (وبحسب فكرهم)؛ فالشَّيء الذي نراه ليس هو الجسد الحقيقي، وإنما هو خُبز فقط''.

٢٠- نفس المرجع، ص ١٥-١٦

٢١- الأرشمندريت جيورجيوس كابسانيس، رئيس دير البار غريغوريوس بجبل آثوس، ترجمة الأب الدُّكتور إبراهيم خليل دبور، ٢٠٠٧م، ص ٦٠

22- *PG* 31, 1472-1473.

23- *PG* 75, 45A

24- PG 73, 464 ; Pusey I, 423-424.

٢٥- الأب متى المسكين، ويدعى اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا، ضمن كتاب: أعياد الظُّهور الإلهي، ١٩٨٠م، ص ١٣٩

26- PG 73, 157 ; Pusey I, 137.

27- *PG* 75, 905A.

وبسبب هذه الادعاءات، وجَه البابا السؤال لقُرَّائه: ''... والآن! هل يجوز لنا نحن أيضاً أن نقول إنه أمر غير لائق بل ولا يمكن تصديقه أن نقبل بفكرة أنَّ جسداً واحداً ممكن أن يتواجد في أماكن كثيرة في لحظة واحدة من الزمن؟!''، ثمَّ يجيب علي هذا السؤال بالإشارة إلي أنَّ الله الأزلي الذي خلق العالم بكلمةٍ، هو قادر أيضاً بالمِثل أنْ يعمل هذه الأعمال العجيبة في الأماكن الكثيرة بواسطة قوَّة كلمته المتجسِّدة. كذلك أيضاً، وبنفس الطَّريقة التي أعطى بها الخالق جسده لتلْمِيذَيْه في عمواس هو قادر أن يحُوِّل خُبز الإفخارستيَّا إلي جسده ... فالجسد الذي صعد إلي السَّماء – عند حادثة الصُّعود – والذي جلس عن يمين الآب في الأعالي، هو هو ذات الجسد بجوهره، الحاضر في تقدمة الإفخارستيَّا المقدَّسة.

هنا نري كيف أنَّ طقس الإفخارستيَّا أمكن فهْمِه مرَّة ثانية على أنه فِعل متجَدِّد للتَّجسُّد. وهكذا استطاع هذا المؤلِّف القبطي في القرن السَّابع عشر، أن يُدرك أنَّ الإفخارستيَّا هي الوسيلة الوحيدة الممتازة التي يمكن من خلالها أنْ يصبح الكلمة المتجسِّد حاضراً ومنظوراً بطريقة ملموسة للمؤمن[٢٨]. وهكذا في سرّ الإفخارستيَّا، نرى أنفسنا متَّحدين بهذا الجسد وهو في ملء نور اللاَّهوت[٢٩].

يقول القدِّيس كيرلُّس الكبير (٤١٢-٤٤٤م):

[صحيحٌ حقاً أننا متَّحدون بالمسيح روحياً، بالمحبَّة الكاملة والإيمان البسيط المستقيم والنيَّة الصَّالحة النقيَّة. هذا هو اعتقادنا، ونحن لا ننكره ... **ولكن إنْ تجاسر أحدٌ وقال إنَّ ليس لنا معه أيَّة علاقة بحسب الجسد، فهو يقع في مخالفة صريحة لأقوال الكُتُب الإلهيَّة**. فمن الواضح بدون أدنى شك، أنه بسبب هذا الاتحاد بحسب الجسد، قيل إنَّ المسيح هو الكرمة ونحن الأغصان، وأننا منه وبه نستمد الحياة داخلنا ... **فلماذا إذاً تدخل الأولوجيَّة السِّرِيَّة (الإفخارستيَّا) داخلنا؟ أليس لكي تجعل المسيح يسكن فينا جسدياً بالتَّناول وبشركة جسده المقدَّس؟**][٣٠].

• إنْ قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله، ألا يكون آلهة، أولئك الذين صاروا مسكناً للرُّوح القُدُس؟ «أمَّا تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم ... لأنَّ هيكل الله مقدَّس الذي أنتم هو» (١كورنثوس ٣:١٦، ١٧).

يقول الكاهن في صلاة الحجاب في القُدَّاس المرقسي: ''عندما أتقدم إلى قُدس أقداسك، وألمس هذا السِّر المخفى المقدَّس، **أعطني يارب روحك القدُّوس**، النَّار غير الهيولَيَّة، التي لا يُفكَّر فيها ...'' (خولاجي ١٩٠٢م، ص ٥٥٦، ٥٥٧). وفي أنافورا القُدَّاس المرقسي، يقول الكاهن: ''**أرسل إلى أسفل من علوك المقدَّس**، ومن مسكنك المستعد، ومن حضنك غير المحصور، ومن كرسي مملكة مجدك، **الباراقليط روحك القدُّوس** الكائن أقنومياً، غير المستحيل ولا متغيِّر، الرَّب المحيي، النَّاطق في النَّاموسِ والأنبياء والرُّسُل، الحال في كلِّ مكان، المالئ كلّ مكان، ولا يحويه مكان ... البسيط في طبيعته، الكثير الأنواع في فعله، ينبوع النِّعَم الإلهيَّة، المساوي لك، المنبثق منك، شريك كرسي مملكة مجدك، وابنك الوحيد ربِّنا وإلهنا ومُخلِّصنا وملكنا كلِّنا يسوع المسيح، **علينا نحن عبيدك وعلى هذه القرابين** التي لك ...'' (خولاجي ١٩٠٢م، ص ٦٥٠ -٥٦٢).

28- Stephen J. Davis, *Coptic Christology In Practice، Incarnation and Divine Participation in Late Antique and Medieval Egypt*, Oxford 2008, p. 270-278.

ستيفن ج. ديفيز، المسيحية القبطيَّة من واقع الخبرة والممارسة. مفهوم التَّجسُّد والشَّركة الإلهيَّة في أواخر العصور القديمة ، وفي العصور الوسطى في مصر.

٢٩- الأب متى المسكين، صعود المسيح، ضمن كتاب: القيامة والصُّعود، ١٩٩٢م، ص٣٧٧

٣٠- تفسير إنجيل يوحنَّا ١:١٥